الامم وهو اول انبياء الشريعة قال مجاهد اوصيناك واياه يا محمد دينا
واحدا والذي اوحينا اليك اي من القران وشرايع الاسلام وما وصينا اي
بما لنا من العظمة الباهرة التي ظهرت بها تلك المعجزات به ابراهيم الذي
نجيناه من كيد النمرود بالنار وغيرها ووهبنا له على الكبر اسماعيل واسحاق
وقرا هشام بفتح الهاء والف بعدها والباقون بكسر الهاء وياء بعدها
وموسى الذي انزلنا عليه التوراة موعظة وتفصيلا لكل شي وعيسى
الذي انزلنا عليه الانجيل هدى ونور وموعظة ودحرناه في سمايتنا
لتاييد شريعة الفاتح الخاتم صلى الله عليه وسلم ثم بين المشروع
الموصى به والموحى الى محمد صلى الله عليه وسلم بقوله تعالى
ان اقيموا اي ايها المشروع لهم من هذه الامة الخاتمة ومن
الامم الماضية الدين وهو الايمان بما يجب تصديقه والطاعة
في احكام الله تعالى ومحله النصب على البدل من مفعول شرع
او الرفع على الاستيناف كانه جواب وما ذلك المشروع او الجر على
البدل من هايه ولما عظمه بالامر بالاجتماع اتبعه بالتعظيم بالنهي عن
الافتراق بقوله تعالى ولا تتفرقوا فيه اي ولا تختلفوا في هذا
الاصل اما فروع الشروع المختلفة فقال تعالى لكل جعلنا منكم
شرعة ومنهاجا وقال قتادة الموصى به تحليل الحلال وتحريم الحرام
وقال الحكم تحريم الامهات والبنات والاخوات وقال مجاهد لم
يبعث نبيا الا وصاه باقامة الصلاة وايتاء الزكاة والاقرار لله تعالى
بالطاعة فذلك دينه الذي شرع وقيل هو التوحيد والبراءة من الشرك
وجرى على هذا الجلال المحلي والكل يرجع اليه كبر اي عظم وشق
على المشركين حتى ضاقت به صدورهم ما تدعوهم اليه اي ايها النبي
الفاتح الخاتم من الاجتماع ابدا على ما اجتمعوا عليه وقت الاضطرار
من وحدانية الواحد القهار فلاجل كبره عليهم هم يسعون في تفرقكم
فان تفرقتم كنتم تابعين العدو والحسود وخالفتم الولي الودود ودل تنبيه
تعالى على ان الامور كلها بيده بقوله تعالى الله الذي له جامع العظمة
ونفوذ الامر يجتبي اي يختار اليه بالتوفيق للطاعة من يشاء اي من
يقبل الى طاعته ولما بين تعالى امر كل الانبيا والامم بالاخذ بالدين
المتفق عليه كان لقايل ان يقول فلماذا نجدهم متفرقين اجاب بقوله
تعالى وما تفرقوا اي المشركون من قبلكم من اهل الكتاب وغيرهم
الا من بعد ما جاءهم العلم اي بالتوحيد او بمبعث الرسول صلى الله عليه وسلم
او بان التفرق ضلال متوعد عليه بغيا بينهم اي فعلوا ذلك للبغي وطلب
الرياسة تحملهم الحمية النفسانية على ان ذهب كل طايفة الى مذهب

ودعوا الناس اليه وقبحوا ما سواه طلبا للذكر والرياسة فصار ذلك سببا
لوقوع الاختلاف ثم اخبر تعالى انهم استحقوا العذاب بسبب هذا الفعل الا
انه تعالى اخر عنهم العذاب لان لكل عذاب اجلا مسمى اي وقتا معلوما وهذا
معنى قوله تعالى ولولا كلمة لا تبديل لها سبقت اي في الازل من ربك اي
المحسن اليك بجعلك خير الخلايق وامامهم بتاخيرهم الى اجل مسمى ضربه
لاجالهم ثم يجمعهم في الاخرة لقضي على ايسر وجه واسهله بينهم حين
الافتراق باهلاك الظالم وانجا المحق قال ابن عباس والذين ارتدا بهم من
المتفرقين هم اليهود والنصارى لقوله تعالى في ال عمران وما اختلف الذين
اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءهم العلم بغيا بينهم وقوله تعالى في سورة
لم يكن وما تفرق الذين اوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة وكذلك
في قوله تعالى وان الذين اورثوا الكتاب من بعدهم اي المتفرقين من اليهود والنصارى
الذين كانوا في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل هذه الامة الذين
اورثوا القران ولما نسخ كتابهم ما تقدمه كان غيرهم كانه مات فورثوه
كما قال تعالى ثم اورثنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فكان حالهم
في تمكنهم من التصرف في الكتاب بالحفظ والفهم وعدم المنازع في ادعايه
حال الوارث والموروث منه لفي شك اي من كتاب لا يعلمونه مما هو به ولا
يومنون به حق الايمان او من القران فيقولون انه سحر وشعر وكهانة ونحو ذلك
وقيل في شك من محمد صلى الله عليه وسلم وجرى على ذلك الجلال المحلي
منه مريب اي موقع في التهمة فلذلك اي التوحيد فادع يا اشرف
الخلق واستقم اي على الدعوة كما امرت اي كما امرك الله تعالى ولا تتبع
اي بعمل اهواءهم في شي ما فان الهوى لا يدعو الى خير والمقصود من كل احد
ان يفعل ما امر به وقل لجميع اهل الفرق وكل من يمكن له القول فانك الى جميع
الخلق امنت بما انزل الله اي الذي له العظمة الكاملة من كتاب اي جميع
الكتب المنزلة لا كالكفار الذين امنوا ببعض وكفروا ببعض روي ان رجلا
اتى عليا فقال يا امير المومنين ما الايمان او كيف الايمان قال الايمان على اربع
دعايم على الصبر واليقين والعدل والجهاد والصبر على اربع شعب
على الشوق والشفق والزهادة والترقب فمن اشتاق الى
الجنة سلى عن الشهوات ومن اشفق من النار رجع عن المحرمات ومن
زهد في الدنيا تهاون بالمصايب ومن ارتقب الموت سارع الى
الخيرات واليقين على اربع شعب تبصرة الفطنة وتاويل الحكمة
وموعظة العبرة عرف السنة ومن عرف السنة وسنة الاولين
فمن تبصر الفطنة تاول الحكمة ومن تاول الحكمة عرف العبرة ومن عرف
العبرة عرف السنة ومن عرف السنة فكانما كان من الاولين

Copyright © King Saud University